اولا : يردد صادق ان الانظمة العربية استوعبت حركة المقاومة و « ... بعد مضي خمس سنوات على هزيمة حزيران اصبح التجانس شبه كامل بين حركة المقاومة والوضع العربي المهزوم من حيث تجميد اطلاق النار المباشر على العدو الاسرائيلي». ويضيف صادق : « حتى في هذا الامر الهام جدا والحساس الى اقصى الحدود اصبح الفارق بين الوضع الفعلي للمقاومة من جهة وللانظمة العربية من جهة اخرى معدوما وغير ذي بال » (ص ٢٠) ولقد استوعب « الواقع العربي بكل زيفه وضعفه » ... « الثورة الفلسطينية وهضمها ... » (ص ٣٤) . ويضيف في مكان اخر : « ... استقر ميزان التأرجح في علاقات فتح بين طرفي التزامها الرسمي والجماهيري الى جانب الانظمة . حتى على صعيد العمل العسكري استقر التأرجح الى جانب الطرف الرسمي والتبعية لمنطق الجيوش النظامية » (ص ١٦٦) .

ويعلق صادق على بيان اصدره كمال ناصر في ٧١/١١/٢٥ حول رياح الحرب الساخنة التي تهب على المنطقة ، بعد خطابات القاهرة السادات في الجبهة قائلا :

« لا اعتقد انه بامكان انسان ان يعثر على صك رسمي يكرس تبعية فتح والتصاقها بالانظمة العربية وجيوشها بوضوح اكبر مما فعله هذا البيان » (ص ١٦٩) .

وصادق في هذا كله ، لا يخرج عما قاله ماوتسي تونغ في تعريفه للنظرة الاحادية الجانب ، ونظرته « ... خاطئة ومضرة جدا ليس من شأنها الا ان تسبب فقدان الثقة بقضيتنا » . انه هنا يرى « قضية النضال العظيم الذي تسهم فيه مئات الملايين من الناس كلها فوضى ، وليس فيها مما يستحق التقدير » كما يقول ماوتسي تونغ . واذا ما تحدثنا عن وضعنا بلغتنا قلنا ان صادق يرى ان كل شيء قد انتهى .

هذا ما تعودنا ان نسمعه من مدرسة صادق والياس وغيرهما منذ ما قبل ايلول .

ولكن هل هذا هو الحقيقة ؟

علينا ان نخضع القضية للتحليل .

واذا ما اخضعناها اكتشفنا ما يلي :

أ ــ هنالك تراجعات فعلا ، بدأت منذ البدء بتنظيم الاسلحة وجمعها من ايدي الجماهير في الاردن ، وادت الى فقدان الاردن كله ، والى تجميد العمليات العسكرية من لبنان . وهذه التراجعات اساسية وخطيرة ، كما بينا واوضحنا في اكثر من مكان ، واكثر من مناسبة .

ب ــ السبب الاساسي لهذه التراجعات ذاتي الا ان الظروف الموضوعية لعبت دورا في استعجال هذه التراجعات .

ج ــ هنالك قيادات اصبحت تزداد قناعة يوما فيوما بانتهاج طريق البحث عن « الحل المناسب » ومنهم من ينظر لاخلاء المواقع والقاء البنادق والتقوقع في خلايا معزولة تحت شعار العودة الى العمل السري وبناء الحزب الثوري وتبني النظرية الثورية ، والتخلص من رذائل البرجوازية الصغيرة ومبادئها.

د ــ وهنالك كوادر وقواعد مصممة على القتال والاستمرار ، يساندها رأي عام فلسطيني وعربي وقوى وطنية مع الاستمرار وضد التوقف ، مع القتال وضد الاستسلام .

و ــ وما زال هناك قتال داخل الارض المحتلة ، وما زالت هناك بنادق على الحدود ، وفي المخيمات تدافع عن الثورة ، ولا تقبل الاستسلام . وما زالت هنالك قوى فلسطينية تعمل على احباط الحلول الاستسلامية .

ولذلك فاننا لا نستطيع ان نرفع الراية البيضاء باسم المقاومة ، ولا يجوز لنا ان نرفعها . وحين نفعل ذلك كما فعل صادق لا نخدم قضية القتال بل نضرها . وهذا لا يعني ان نخدع الجماهير ، وان نزين الامور لها ، بل يعني ان نكشف التراجعات وعواملها الحقيقية ، وان نحدد حجمها الحقيقي ، وان نعمل بدأب ووعي لمحاربة العدو وللتمسك ببنادقنا ، ولتثوير الجماهير وتعبئتها ، ولاسقاط القيادات العاجزة والمتراجعة . انه عمل واحد موحد . وهذا العمل لا يتم برؤية جزء واحد من الصورة : التراجعات . لا بد من ان نرى الجماهير المستعدة والقوى الكامنة والكوادر المتحفزة والقيادات التي ما زالت تقاتل حتى النفس الاخير . ومن لا يرى ذلك لا يرى حقائق الواقع ، ولا يعرف ديالكتيك الصراع في المجتمع ، ولا يثق ، بالجماهير وبامكانيات النصر .

ومن هنا فاننا لا نقول مع صادق ان المقاومة « سقطت » واستوعبت ، اننا نقول : انها تواجه